مثال في الخلقة التي استأثر الله عز وجل باختراعها منه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتدا وشرح
ذلك يطول فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم
سماع صوت العندليب وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان
فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة من سائر الاجسام باختيار الادمي كالذي
يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذا الا الملاهي والاوتار والمزامير
اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت
الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتدا الى كسر الدنان
فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما
حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وحرم قليل الخمر
وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على
حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحصنا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى
وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا لتحريم الخمر لثلاث علل احدها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة
الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية انها في حق قريب العهد
بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث
الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام ولهذه العلة نهى في الابتدا عن المزفت والحنتم والنقير
وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فان معنى هذه صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق
الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر اذ لا لذة في رؤية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكر
بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق الى الخمرة عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع
لخصوص هذه العلة فيه الثالثة الاجتماع لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمنع من التشبه
بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدع
خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل طويل دقيق الوسط واسع الطرفين
وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول
لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا الات الشرب واقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا
يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة
بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان ذلك تشبه باهل الفسق بل لهذا ينهى
عن لبس

عن لبس القبا وترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القبا فيها من لباس اهل الفسق ولا ينهى عن ذلك
فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها
كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج
وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون
سوى ما يعتاده اهل الشرب لان كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب
التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها
بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام ايضا وبهذا يتبين
انه ليس العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد
قال الله تعالى قل من حرم زينة الله الاية فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة
وانما تحرم بعارض اخر كما سياتي في العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون المفهوم
وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما
والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الاحاد فمن اين
يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم
التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رضي الله عنه اذ قال الشعر
كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز
مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى
مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الاحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد
الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة
وانشدت عائشة رضي الله عنها : ذهب الذين يعاش في اكنافهم : وبقيت في خلف كجلد الاجرب :
وروي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك
ابو بكر وبلال وكان بها وبا فقلت يا ابة كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا
اخذته الحمى يقول : كل امرئ مصبح في اهله : والموت ادنى من شراك نعله :
وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة : بواد وحولي اذخر وجليل :
وهل اردن يوما مياه مجنة : وهل يبدون لي شامة وطفيل :

Copyright © King Saud University